الرسائل الحربية :

كتب الأمير عبد الله بن محمد إلى قائده أحمد بن محمد يحضّه على التوكّل على الله والثقة به ، ويدعوه إلى الأخذ بأسباب الحيطة والحذر من العدو ، يقول :

" أما بعد ، فالتزم التوكّل على الله – تبارك وتعالى– والثقة به في جميع أمورك وما أنت بسبيله من ثغرك ، فإنّها حِرْزٌ من كل ضُرٍّ يُـتّقى ، وبلاغ لكلّ خير يُـرتجى ، وكن من التّحفُّظ في أيّام عيدك على أحسن الذي يجب عليك الأخذُ به والتحفّظ فيه ، فالله خير حافظ ، وهو أرحم الراحمين " .

مقدمة :

فن الرسائل فن من الفنون الأدبية النثرية التي سادت في العصر الأندلسي سيادتها في العصور العربية الأخرى، وكان لها عند الأندلسيين قسمان : قسم غايته محاكاة الأشياء أو التأمل في بعض المشكلات ومناقشتها من دون الالتفات إلى الأسلوب البياني والبلاغي، وقسم آخر بياني النزعة غايته إظهار البراعة الأسلوبية والبلاغية وهناك رسائل تجمع بين هذين القسمين. والرسالة التي بين أيدينا بيانية النزعة؛ غايتها إظهار البراعة الأسلوبية والبلاغية ، وهي من الرسائل الديوانية الحربية كتبها الأمير عبد الله بن محمد إلى قائده أحمد بن محمد يحضّه على التوكّل على الله والثقة به ، ويدعوه إلى الأخذ بأسباب الحيطة والحذر من العدو .

- **معاني النص :**

مهّد الكاتب قبل الدخول في صلب الرسالة بأهميّة الثقة بالله تعالى والتوكّل عليه لينتقل بعدها إلى الغرض الرئيس من الرسالة وهو الأخذ بأسباب الحيطة والحذر من الأعداء الذين يتربصون به لِما في ذلك من سلامة للجيش الذي يأتمر بإمرته فضلاً عن تحقيق سُبُل النصر من دون الوقوع أمام عوائق قد تغير مجرى الأمور ، مما يدل على حكمة الأمير وحنكته العسكرية في إدارة الجيوش ولو كان ذلك من مسافات بعيدة .

- **رموز النص التي استخدمها الكاتب ودلالاتها:**

النص الذي أمامنا يمتاز بقصره وإيجازه ، لكن ذلك لا يعنى خلوّه من بعض الرموز والدلالات التي تصبّ في خدمة الهدف من الرسالة ، ففي قوله في إشارة منه إلى أهمية التوكل على الله (إنها حِرزٌ من كلّ ضُرٍّ يُتّقى) دلالة دينية واضحة أكدها الدين الإسلامي فلو(اجتمعت الجن والإنس على أن يضروا الإنسان بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه) ، كذلك اعتمد الكاتب على الاقتباس من القرآن الكريم بقوله (فالله خير حافظ وهو أرحم الراحمين) اقتبسها من سورة يوسف الآية ٦٤ من قوله تعالى : (والله خيرٌ حافظاً وهو أرحم الراحمين) لتكون تأكيداً لأهمية التوكل على الله في كل أمور الحياة حتى في الأمر العسكرية .

- **المؤثرات المشرقية :**

دخل الكاتب إلى موضوع الرسالة مباشرة دون البدء بالبسملة والحمد أو الدعاء كما يفعل المشرقيون ، ليدل ذلك على عدم التزام الأندلسيين بالقالب المشرقي كما وصل إليهم ، كما كان هذا الاختصار مناسباً لمضمون الرسالة الديوانية التي لا تحفل كثيراً بإظهار براعة الكاتب ، وعلى الرغم من ذلك كان الاقتباس واضحاً في قوله (والله خير حافظ وهو أرحم الراحمين) –كما أشرنا سابقاً– على عادة المشرقيين في الاقتباس والتضمين .

–الأساليب البلاغية واللغوية والتصويرية والفنية :

١–السجع : نهج الكاتب في رسالته منهج المشرقيين في عدم التكلف في الاعتماد على السجع ، فرأينا السجع في رسالته عفوياً بعيداً عن التكلّف كما في قوله (فإنّها حِرْزٌ من كل ضُرٍّ يُتّقى ، وبلاغ لكلّ خير يُرتجى) .

٢–البديع : ظهر طباق الإيجاب في قوله (ضُر – خير) لإبراز التناقض الحاد بين الضرر الذي يقع فيه الإنسان المتكبّر الذي لا يعلم ضعفه أمام خالقه وأن أموره مقدرة ومكتوبة وبين الخير الذي يمكن أن يناله كل من اعتمد على الله وتوكل عليه ووثق برحمته .

والجناس الناقص ظهر في قوله (يُرتجى – يُتّقى) ، مما ساهم في إضافة نغم موسيقي للنص .

.

٣- أما الألفاظ : السمة العامة لألفاظ الرسالة هي السهولة والوضوح والبساطة والإيحاء ، مثل (التوكّل- تبارك – تعالى- الثقة – ضُرٍّ ، بلاغ – خير – يُرتجى – حافظ – أرحم – الراحمين) ، وكذلك **تراكيب النص** كانت مترابطة ومنسجمة مع بعضها ومناسبة لأداء المعاني التي أراد الكاتب إيصالها.

٤- الأفعال : لم يعتمد الكاتب في نصه على الجمل الفعلية والأفعال التي تدلّ على الحركة والتغير والسيرورة في تحريك الانفعالات على النحو الذي يبتغيه الكاتب فقط ، بل اعتمد أيضاً على الجمل الاسمية التي كان لها الأثر الواضح في الدلالة على ثبوت معاني الثقة بالله وحفظه وحمايته لمن يتوكل عيه .

٥- المعجم الدلالي:

المعجم الدلالي للمفردات في هذه الرسالة واضح يتماشى مع ما أراده الأمير من قائده وهو التوكل على الله والثقة به مثل (التوكّل - الله – الثقة – حِرْزٌ – ضُرٍّ يُتّقى – خير – يُرتجى – حافظ) كما يتماشى مع دعوة الأمير لقائده إلى الأخذ بأسباب الحيطة والحذر مع التوكل على الله مثل (التحفّظ) التي تكررت مرتين ، لذلك وجدنا أن المعجم الدلالي قد ساهم المعجم في إيضاح مقاصد النص وفكرته الرئيسة المتمثلة بدعوة الأمير لقائده إلى التوكل على الله والثقة به مع الأخذ بأسباب الحيطة والحذر من الأعداء . .

خاتمة :

إن النثر في العصر الأندلسي لبس أثواباً عديدة وكان في بعضه يحاكي التراث المشرقي أي يحاكي طرائق ابن المقفع وسهل بن هارون والجاحظ أو كتاب القرن الرابع مع ذلك كان لكل كاتب من هؤلاء خصوصيته في أخذ لون من هذه الألوان والنسج على منوالها، وإخراجها بنكهة أدبية خاصة تحدد ميوله وأساليبه.

الرسائل الاجتماعية :

صوّر أبو الفضل البغدادي اختلال الأمور وتدهور الأحوال ، وانهيار الأخلاق وانعدام الأمن ، وضعف الوازع الديني في نفوس الناس ، وشخّص أسباب الشرّ وعوامل الفساد التي حالت دون تطور المجتمع ونهوضه ، يقول :

" وكنتُ مررتُ ببلادٍ شموسُ الفضائل في آفاقها مكسوفة ، وعيون العلم والآداب في عرصاتها مطروقة ، وستائر الأحرار بين أهلها مهتوكة ، مكشوفة ، وجنباتها بأنواع البلاء محفوفة ، وقد نضبت في رباعها مياه الأمانة والأمان ، ونبعت بين أهلها عيون الخيانة والبهتان ، وضَـعُفَ حبل الديانة فيهم والإيمان ، وجنحوا إلى جحود النِّـعَمِ والنُّكران ، وتوسّعوا في مطاوعة الظلم والعدوان " .

مقدمة :

فن الرسائل فن من الفنون الأدبية النثرية التي سادت في العصر الأندلسي سيادتها في العصور العربية الأخرى، وكان لها عند الأندلسيين قسمان : قسم غايته محاكاة الأشياء أو التأمل في بعض المشكلات ومناقشتها من دون الالتفات إلى الأسلوب البياني والبلاغي، وقسم آخر بياني النزعة غايته إظهار البراعة الأسلوبية والبلاغية وهناك رسائل تجمع بين هذين القسمين. والرسالة التي بين أيدينا بيانية النزعة؛ غايتها إظهار البراعة الأسلوبية والبلاغية ، وهي من الرسائل الاجتماعية ، صوّر فيها أبو الفضل البغدادي اختلال المجتمع وتدهور أسسه الأخلاقية والأمنية والدينية .

- **معاني النص :**

تطرّق الكاتب إلى موضع الرسالة مباشرة ، بيّن فيها انعدام الأخلاق والفضائل في تلك البلاد التي مرّ عليها ، وإهمال أهلها للعلوم وتفشي الجهل ، كما أشار إلى سفور نسائها بإظهار عوراتهم علناً أمام الناس ، وتخلّي أصحابها عن قيم الأمانة والوفاء بالعهود ، إضافة إلى انعدام الأمن والأمان بين أهلها ، وانتشار الخيانة والجحود والنكران للجميل ،وضعف الوازع الديني في نفوسهم ، فلا رادع لهم عن الظلم .

رموز النص التي استخدمها الكاتب ودلالاتها:

على الرغم من الإيجاز الذي اتسم به النص عموماً إلا أنه كان في كل جملة من جمله يطرح مشكلة اجتماعية كبيرة تهدد المجتمع بالسقوط ، وقد عمد الكاتب إلى سرد تلك المشكلات ليصل المتلقي إلى مجموعة من الدلالات التي تصبّ في خانة واحدة وهي انهيار الحالة الاجتماعية في ذلك البلد بكل مكوناتها وبصورة لا يمكن إصلاحها أو النظر إليها إلا بعين الحزن والقلق .

- **المؤثرات المشرقية :**

لم يلتزم الكاتب في هذه الرسالة بالقالب المشرقي كما جرت العادة ، وقد ناسب عدم التزامه مضمون الرسالة الاجتماعية التي اهتمّ فيها الكاتب بالمضمون وكان حريصاً عليه أكثر من حرصه على الشكل ، لكن مع ذلك لمحنا فيه الأسلوب الجاحظي

الذي يعتمد التفصيل والعطف بين الجمل في سياق إيراد الفكرة التي يتغيّاها الكاتب.

-الأساليب البلاغية واللغوية والتصويرية والفنية :

١-السجع : نهج الكاتب في رسالته منهج المشرقيين في عدم التكلف في الاعتماد على السجع ، فرأينا السجع في رسالته عفوياً بعيداً عن التكلّف في نهاية جمله الموجزة ، كما في قوله (مكسوفة ، مطروقة ، مهتوكة ، مكشوفة ، محفوفة ، والأمان ، البهتان ، الإيمان ، النُّكران ، العدوان) .

٢-البديع :

ظهر طباق الإيجاب فب قوله (شموس – مكسوفة / ستائر – مكشوفة / نضبت – نبعت) لإبراز التناقض الحاد بين الضرر الذي يقع فيه الإنسان الملتزم بدينه ويعي ما يصيب مجتمعه من آفات وبين المتجاهل لما يحصل في مجتمعه ولو أدى ذلك لخرابه . والسجع في قوله (مكسوفة – مكشوفة) مما يسهم في إعناء الموسيقا الداخلية للنص .

٣- أما الألفاظ : نلحظ في الألفاظ السهولة والوضوح والبساطة والإيحاء ، مثل (شموس- مهتوكة مكشوفة ..) – كما كانت **تراكيب النص** مترابطة منسجمة مع بعضها ومناسبة لأداء المعاني التي أراد الكاتب إيصالها.

٤- الأفعال :

اعتمد الكاتب في نصه الجمل الفعلية والأفعال الماضية التي تدلّ على الحركة والتغير والسيرورة في تحريك الانفعالات على النحو الذي يبتغيه الكاتب ، كما دلت على تحقق وثبات الفساد الاجتماعي في تلك البلاد بأسلوب سردي تمكّن فيه الكاتب من عرضها بوضوح . مثل (كنت ، نضبت ، نبعت ، ضعف ، جنحوا ، توسّعوا)

٥- المعجم الدلالي:

انسجم المعجم الدلالي لمفردات الرسالة مع مضمون الرسالة التي تتحدث عن التردّي الاجتماعي في تلك البلدة التي مرّ عليها ، مثل (الفضائل ، العلم ، الآداب الأحرار ، أهلها ، مهتوكة ، مكشوفة ، البلاء محفوفة ، الأمانة ، الأمان ، عيون ، الخيانة ، البهتان ، ضَـعُفَ ، الديانة ، الإيمان ، النِّـعَمِ ، النُّكران ، الظلم ، العدوان) .

خاتمة :

إن النثر في العصر الأندلسي لبس أثواباً عديدة وكان في بعضه يحاكي التراث المشرقي أي يحاكي طرائق ابن المقفع وسهل بن هارون والجاحظ أو كتاب القرن الرابع مع ذلك كان لكل كاتب من هؤلاء خصوصيته في أخذ لون من هذه الألوان والنسج على منوالها، وإخراجها بنكهة أدبية خاصة تحدد ميوله وأساليبه.